بمنهجية الحوار ومنهجية التفكير كذلك . كيف ؟ ان أي قارىء محايد يتناول كتاب الدكتور العظم (لا ننسى ان كلمة دكتور وحدها لها ايقاع ورنين في نفوس شعبنا تمنح صاحبها ما يمكن ان نسميه بالثقة الاكاديمية ، كما ان صادق جـــلال العظم اصبح اسما معروفا لدى جمهرة الناس حتى لاولئك الذين لم يقرأوا له شيئا ، مما يجعلهم أميل الى تصديقه وعدم الشك بالنصوص التي يوردها) لا يكون بالضرورة قد قرأ او حفظ الاستشهادات الاصلية كاملة ، ولهذا فسيتقبل كلام الدكتور العظيم ككلام ثقة ويبني عليه احكامه وتقييماته وهذا يقوده بالطبع — بعد ان ثبت تلاعب الدكتـــور صادق بالنصوص — الى نتائج واحكام خاطئة ومضللة سواء بالنسبة للافكار التي يناقشها او الاشخاص الذين ينتقدهم . هـــذه الظاهرة السلبية الاولى المتعلقة بمنهجية الحوار تقود الى ظاهرة أخطر وهي عدم ثقة القارىء بعد اكتشافه لهذه الحقيقة بكل ما يقرأ بعد ذلك من دراسات حتى لو وقعها سبعة دكاترة مشهورين مثل العظم .

غير ان هذه الظاهرة السلبيـــة على خطورتهـــا الشديدة (أخلاقيا ومنهجيـــا) تظل أقل خطـــرا وأهمية ، لان الخلل الاساسي هو في منهجيـــــة التفكير الذي يقف وراء هذه الحوارات والنقد . لقد ثبت ان مقولة « التحليـــل الملموس للواقع الملموس » والتي لا يتعب الماركسيون والمتمركسون من استعمالها لا تعني شيئا عند الدكتور صادق فلقد قاده المنحى والاتجاه الخاطىء في التحليل الى مثل هذه « الفضيحة الفكرية والاخلاقية » فهو من أجل اثبات فكرة مسبقة في رأسه مفادها « ان البرجوازية الصغيرة قد سقطت بعـــد أن سقطت قياداتها وبرامجها وسياساتها وممارساتها» راح يجمع من هنا وهناك كل ما يدعم ويؤيد فكرته المسبقة من تصريحات وأحاديث ومقالات وممارسات دون ان يستشعر لحظة واحدة من الحرج عما يفعله من تخريب وتشويه وتلفيق واجتزاء وقطع وجمع واضافة ، كيفما اتفق وشاء بما يجمعه من نصوص واستشهادات ، ودون ان ينتبه وسط هذه الفوضى العلمية — وهذا هو المضحك — الى التناقضات الفاقعة التي وقع فيها .

لقد كان ذلك اساس الخلل في موضوعات الدكتور صادق ، لانه أساس الخلل في منهجيته وتفكـــيره وهنا بالضبط فضيحته ومأساته .

ناجي علوش ومنير شفيق : دفاعا عـــن النفس ودفاعا عن الثورة

في مجال كشفنا للظاهرات السلبيـــة التي برزت واضحة في كتاب « دراســـة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » ولمجموعة المناقشات الدائرة حوله ، لاحظنا ان الدفاع عن الذات قد احتل حيزا كبيرا نسبيا على حساب مناقشة الموضوعات الهامة التي طرحها الدكتور صادق ، ففي الدراسة التي كتبها ناجي علوش بعنوان : [« دراسة نقدية لفكر المقاومة الفلسطينية » : هل هو نقد لفكر المقاومة حقا ؟] نلاحظ ان حيزا لافتا للنظر قد خصص فقط لكشف التلاعب الذي فعله الدكتور صادق بنصوص ناجي علوش ، والحيز المتبقى قد خصص تقريبا للرد على الموضوعات المتعلقة بناجي مباشرة بينما أهملت نتيجة ذلك موضوعات هامة جدا كان على ناجي مناقشتها .

أما رد منير شفيق بكتابه « الثورة الفلسطينية بين النقد والتحطيم » فقد بدا أنه قد تجاوز هـــذه السلبية على الاقل في الصفحات الثمانين الاولى من كتابه (١٩٠ صفحة) الا انه لا يلبث ان يغرق في تفصيلات غير هامة تتعلق ايضا باثبات التلاعب بالنصوص التي أوردها الدكتور صادق او بمناقشة مسائل ثانوية تتعلق بمنير مباشرة . وعلى حساب مناقشة القضايا الاكثر اهميـــة والتي مر علـــى بعضها مرورا سريعا بينما أهمل البعض الاخر ، الا ان الردين قد أجابا بحسم ووضوح على معظم المسائل الاساسية في الكتاب وكشفا الدور الخطر والمخرب الذي قام به الدكتور صادق . واذا كانت مقالة ناجي القصيرة نسبيا في « شؤون فلسطينية » تشفع له بعدم مناقشة كافة القضايا ، فاننا عند منير شفيق يجب ان نتوقف قليلا لنكشف ظاهـــرة سلبية تتعلق أيضا بأساس عملية الجدل والحوار الدائرة الان ، خاصة وانه قد أفرد كتابا كاملا لهذا الغرض .

صحيح ان الدفاع عن النفس حق مشروع في كافة الاعراف والمجالات وصحيح ان الدفاع عن الذات هنا هو بمعنى ما دفاع عن الثورة وافكارها ، وهذا ما فعله ناجي ومنير بجدارة تامة ، الا اننا في القضايا الفكرية والسياسية كنا نتمنى ان نجد الصورة العامة للنقاش بشكل أفضل :

أولا : على الرغم من تأكيدات منير شفيق المستمرة